أكثر اثارة بكثير من القسم الثاني . ويلجح الكاتب هنا في ابراز بعض الحقائق المهمة مثل وعي الفلسطينيين في مطلع هذا القرن على الخطر الصهيوني وردة الفعل اليهودية قبل ١٩٤٨ والاسباب الكامنة وراءها . كما انه يلفت النظر الى فارق مهم بين النشاط الصهيوني والنشاط العربي من حيث ان « النشاط الصهيوني كان على نطاق دولي في حين كان النشاط العربي محليا ومحدودا » . ويعقب الكاتب على خلق دولة صهيونية في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ واجلاء ٧٠٠،٠٠٠ فلسطيني بقوله : « هذا الخروج الاخر يكاد بجهله العالم الذي أضحت مآثر الصهيونية أعمال بطولة له » .

يخصص المؤلف الفصل الرابع وعنوانه«الاحتجاج والشعر والنثر الفلسطيني » للحديث عن انعكاسات تعلق الفلسطينيين بأرضهم في الادب والشعر والفن الذي ظهر قبل حرب حزيران وبعدها . وهذا الفصل هو أحد الفصول الاكبر قيمة في الكتاب . ففيه يتحدث الكاتب عن شعر الفلسطينيين الجميل وتوقهم الى الارض وتحديهم للاسر وحاجتهم الملحة للعودة . ويعطي الكاتب هذا الشعر بعدا عالميا بقوله ان بعض هذا الشعر المكتوب في ظل الاحتلال الاسرائيلي « يمكن مقارنته بأدب ما يسمى «الهجرات الداخلية » للكتاب الاوروبيين المناهضين للفاشية في الثلاثينات » . ويشير كولي الى شعراء وفنانين من داخل الارض المحتلة وخارجها أمثال توفيق زياد وسميح القاسم وغدوى طوقان ومحمود درويش . ويعرف بأعمال غسان كنفاني وكمال بلاطة وجمانة بايزيد الحسيني واسماعيل وتمام الشموط وفلاديمير تماري وغيرهم . كما يشير الى فنانين داخل الارض المحتلة امثال عبد العابدي وعبدالله قرة وغيرهم .

أما الفصل الخامس فهو يتحدث عن بعض أعمال المثقفين والعلماء الفلسطينيين ، خاصة المعروفين منهم في الغرب ومن بينهم موسى العلمي وابراهيم ابو اللغد وآخرين . ويشير الكاتب هنا الى حقيقة مهمة وهي ان الكثيرين من الفلسطينيين أفلحوا في بناء أعمال ناجحة وفي الاسهام في « العلوم والفن المهني في العالم الخارجي » رغم المشقات والعقبات التي واجهوها . ويستشهد المؤلف بالاستاذ انطوان زحلان من الجامعة الاميركية في بيروت الذي اجرى بحثا اوضح فيه ان الفلسطينيين بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٩ « بقليل من المعونة او بغير معونة نشروا واكتسبوا ثقافة أعلى من ثقافة الاسرائيلي الاوروبي وبمعدل أكبر » . فالفلسطينيون وبينهم ٥٠ الف خريج جامعة هم « بين الشعوب الاكثر ثقافة في العالم العربي » . ويدعم الكاتب هذه الحقيقه بذكر انجازات بعض الفلسطينيين .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الحديث عن المقاومة الفلسطينية ويخصص لها فصلين من الكتاب ، السادس والسابع ، حيث يحاول اعطاء لمحة تاريخية عن نشوء كل حركة من خلال سيرة حياة أحد مؤسسيها او قادتها . ويعتمد هنا على مقابلات كان قد اجراها مع كل من ياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمة وغيرهم. ويقدم الكاتب في الفصل السادس خلفية سيرة عرفات ونشاطه كما يتطرق الى انجازات فتح وأهمية وقفتها في معركة الكرامة ويشير الى ان منظمة فتح في عام ١٩٦٩ كانت تملك بنية تحتية من المستوصفات والمياتم لاولاد الفدائيين الذين قتلوا في المعركة ... ومدارس ومراكز تدريب حربي في مخيمات اللاجئين . وكان حجم هذه البنية ونطاقها هما اللذان اخذا يخيفان السلطات في الاردن مما ادى الى انفجار الموقف . ويعلق الكاتب على ذلك بأن المقاومة الفلسطينية أفلحت في البقاء على الرغم من وجود مجموعة قوية من الاعداء .

القسم الاول من الفصل السابع مخصص لتفحص الجبهة الشعبية واصولها وتطوراتها اللاحقة . ويبحث بقية الفصل انفصال أحمد جبريل ثم الانشقاق الاخطر لنايف حواتمة وبروز الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ويشير الى بعض الفوارق بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية . ومع ان ما يأتي الكاتب به في الفصلين المخصصين لحركة المقاومة ليس بالجديد ، فان أهميتها تكمن في اعطاء صورة حقيقية وصادقة عن اهداف ودوافع المقاومة التي طالما شوهت في الغرب لمصلحة الدعاية الصهيونية . غير ان الكاتب يستنتج بأن الفعالية العسكرية للمقاومة « بعده ان كانت ضئيلة قبل وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ صارت معدومة بحلول عام ١٩٧٢ » . ولكن للاسف، ليس لدى الكاتب ما يقوله عن أهم تأثير سياسي لحركة المقاومة ، في هذا الفصل على الاقل .